تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطاوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره
وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتلوه غضب الله
عليهم فاهلكهم بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم
ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي ابن ابي طالب وصاحب ياسين
ومومن آل فرعون من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون
معهم شيا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الاخرة
ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم
ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه ولقد وضع قوله
ومالي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى
قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع
وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني امنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي
واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا
لمن منه ابداكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان يستحبوا على عبادته
عبادة اشيا ان ارادكم هو بضر وشفع لكم لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا
من ان يكونوا شفعا عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم
في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز
وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني
امنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به وقرئ ان يردن الرحمن
بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر اي لما قتل قيل له ادخل الجنة
وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق واراد بقوله تعالى بل احيا
عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها
فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستيناف
لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كان قايلا يقول كيف كان لقاء ربه
بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة
ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما
وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سوال سايل عن ما وجد من قوله
عند

عند ذلك القول العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها
لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة
وفي الحديث المرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن
اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف
في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعا عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين
له الغوائل وهم كفرة عبدة الاصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطا عظيم
في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه
الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقرئ
المكرمين فان قلت ما في قوله بما غفر لي ربي اي الماآت هي قلت المصدرية والموصولة اي
بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شي غفر لي ربي يريد
ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف
اجود وان كان اثباتها جايزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت المعنى
ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من السما كما فعل يوم بدر والخندق
فان قلت ما معنى قوله وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في
اهلاك قوم حبيب جندا من السما وذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم على بعض
الوجوه دون بعض وما ذاك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا
فان قلت فلم انزل الجنود من السما يوم بدر والخندق فقال وارسلنا عليهم ريحا وجنودا
لم تروها بالف من الملايكة مردفين بثلاثة الاف من الملايكة منزلين بخمسة الاف
من الملايكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مداين لوط بريشة
من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شي
على كبار الانبيا واولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة
والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السما وكانه اشار بقوله وما انزلنا
وما كنا منزلين الا ان انزال الجنود من عظايم الامور التي لا يوهل لها الا مثلك وما كنا نفعله
بغيرك ان كانت الا صيحة ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة وقرا ابو جعفر
المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل
لان المعنى ما وقع شي الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل
ومثله قراة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع

مطلب الجزو
وما انزلنا على قومه من بعده من جند

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)